

الحمالات البيزنطية على شمال إفريقيا و موقف السكان المحليين منها(563-595 ميلادي)

population)Les campagnes byzantines en Afrique du Nord et l'attitude de la locale à leur égard (563-595 après JC

د. بلعيد حسن¹ Belaid hassene

¹ جامعة يحي فارس - المدينة - hassene_84@yahoo.fr

Université de yahia fares-medea-

المؤلف المرسل: د/ حسن بلعيد الإيميل: hassene_84@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2023/05/ 21

تاريخ الارسال: 2023/04/ 14

الملخص:

نحاول في هذا المقال دراسة جانباً مهماً في تاريخ منطقة بلاد المغرب القديم الذي يعتبر امتداداً لتاريخنا الحديث والمعاصر، وذلك من خلال سرد بعض الأحداث والوقائع المرتبطة بالمنطقة في ظل الاحتلال البيزنطي الذي يشكل المرحلة الأخيرة في فترة التاريخ القديم، خاصة وأن الاحتلال البيزنطي اتبع سياسة صارمة وحازمة، وذلك من خلال استخدام القوة العسكرية للسيطرة على الأراضي، فأنشأ الحصون والقلاع والقواعد العسكرية، وقسم المنطقة إلى أربعة أقسام، ووضعوا على كل قسم رئيساً عسكرياً يرأس المنطقة أو المقاطعة، ما أدى إلى ظهور مصادرة الأراضي وفرض ضرائب كبيرة التي أثقلت السكان المحليين الذين لم يجدوا أمامهم سوى المقاومة المسلحة، والتي سنحاول من خلال هذه الدراسة التطرق إلى بعض منها بعدما أقدم البيزنطيون على إرسال العديد من الحملات العسكرية إلى المنطقة.

الكلمات المفتاحية: المغرب القديم، بيزنطة، الاحتلال، المقاومة، القسطنطينية.

Résumé:

Dans cet article, nous essayons d'étudier un aspect important de l'histoire de l'ancienne région du Maghreb, considérée comme un prolongement de notre histoire moderne et contemporaine, en énumérant quelques-uns des événements et des faits liés à la région sous l'occupation byzantine, qui constitue la dernière étape de la période d'histoire ancienne, L'occupation byzantine, a suivi une politique stricte et ferme, et c'était par l'utilisation de la force militaire pour contrôler les terres, il a donc établi des forts, des

châteaux et des bases militaires, et a divisé la région en quatre sections, et mis sur chaque section un chef militaire qui dirige la région ou la province, ce qui a conduit à l'émergence de confiscations de terres et à l'imposition de taxes importantes qui ont pesé sur la population locale, qui n'a rien trouvé devant elle que la résistance armée, Est c'est pour cela que nous tenterons à travers cette étude d'aborder certains d'entre eux après que les Byzantins aient envoyé de nombreuses campagnes militaires dans la région.

Mots clés : Maghreb antique, Byzance, occupation, résistance, Constantinople

1- مقدمة :

تستكشف هذه الدراسة أهم التغييرات الأساسية التي طرأت على منطقة بلاد المغرب القديم التي بقيت محل أنظار المجتمع الروماني الشرقي يعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية أواخر القرن الخامس ميلادي، بقيت المحاولات متواصلة للقضاء على السيطرة الوندالية بالمنطقة، حيث اقتضت النظرة البيزنطية على ضرورة استرجاع أملاك الإمبراطورية الرومانية الضائعة من أيدي القبائل الجرمانية و بعث الإمبراطورية الرومانية من جديد، و هي المضرة التي اهتدى إليها الإمبراطور جوستينيان و عمل على تحقيقها و تجسيدها في بلاد المغرب ، حيث ستعرف المنطقة حياة سياسية و عسكرية في فترة الاحتلال البيزنطي لا تختلف عن الفترة الرومانية.

ولعل السياسة الإدارية العسكرية التي فرضتها السلطة البيزنطية في بلاد المغرب القديم هي التي ستؤدي إلى انتشار القبائل المورية و ظهور قبائل أخرى لم تكن معروفة طيلة الاحتلال الروماني والوندالي و التي كان لها تأثير كبير في القضاء على السياسة الاستيطانية البيزنطية فيما بعد.

أما الإطار الزمني فهي الفترة التي تشمل النصف الثاني من القرن السادس ميلادي و التي ستعرف فيه المنطقة سياسة إدارية و عسكرية و بناء علاقات مع بعض القبائل المورية القائمة على المصلحة المشتركة و تجسيد الاحتلال، وذلك بالقيام باستراتيجية عسكرية، كما أنها فترة مهمة من الفترات التاريخية للمنطقة حيث تمثل فترة انتقالية من العصور القديمة إلى العصور الوسطى، و التي عرفت ثورات عديدة من السكان المحليين ضد الوجود البيزنطي، و يحيط بموضوع مقالنا هذا جملة من الإشكاليات تتمثل فيما يلي:

ما هي أوضاع بلاد المغرب القديم في ظل الاحتلال البيزنطي؟

ما الظروف و الأسباب التي أدت للاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب و كيف كان رد فعل القبائل المحلية؟

ما الظروف المحيطة بالقائد جناديوس للقيام بثلاثة حملات ضد القبائل المورية و رد فعل هذه الأخيرة ؟
 لدراسة هذا الموضوع قمنا بتعريف البيزنطيين و ذلك من خلال وجهة نظر المؤرخين، ثم تطرقنا إلى أسباب الاحتلال البيزنطي للمنطقة إبتداء من الإمبراطور جوستينيان، و في الأخير تطرقنا إلى مختلف أسباب و نتائج الحملات العسكرية للقائد جناديوس ضد القبائل المورية وموقف هذه الأخيرة التي تبنت المقاومة مباشرة

2-التعريف بالبيزنطيين :

مما عرف عن العرب أنهم يطلقون اسم الروم على أهل المملكة الشرقية من اللاتين والإغريق يطلقون على هؤلاء الروم اسم البيزنطيين، وذلك نسبة إلى عاصمة دولتهم التي كانت تدعى بيزنطة ، وهي مدينة قديمة ذات موقع هام لتوسطها بين قارتي آسيا وأوروبا ، وهي تقع على مضيق البوسفور الواصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة المتصل بالبحر الأبيض المتوسط¹.

يعود أصل كلمة بيزنطة إلى أن الإمبراطور قسطنطين²، الذي اتخذ القسطنطينية عاصمة له ، بناها على أنقاض مدينة قديمة تدعى بيزنطة التي أسسها بيزاس " byzas " قائد المجموعة اليونانية التي هاجرت إلى هذا المكان في القرن السابع قبل الميلاد، وعرفت المدينة باسم بيزنطة نسبة إلى هذا القائد، وعندما استولى الرومان على بلاد الإغريق لم يتنبه أباطرتهم للأهمية موقع بيزنطة حتى جاء قسطنطين ونقل عاصمته إليها سنة 330 م ، وذلك لغرضين : ديني وسياسي .

أما الغرض الديني يتمثل في تنصره فاتخذها مهدا صالحا لنمو المسيحية ،أما الغرض السياسي فيعود إلى ظهور خطر الفرس الذين كانوا يهددون إمبراطوريته من ناحية الفرات، وأمم القوط التي كانت تهدد الإمبراطورية الرومانية من ناحية الدانوب³.

فترك تلك المدينة ليراقب حركات الأعداء ويرد غاراتهم، وكما أخذ في حصاره لمقام روما ونسبها إليه فصارت تدعى القسطنطينية⁴.

ومن كل هذا يمكننا أن نعتبر يوم 11مايو من سنة 332م ،الذي أصبحت فيه مدينة بيزنطة العاصمة المسيحية للإمبراطورية الرومانية البداية الأولى لظهور الدولة البيزنطية⁵.

لكن مدينة القسطنطينية لم تكن عاصمة شكلية فقط بل استطاعت بفضل موقعها أن تكون مركز ارتكاز للهليانية و التي أعطت دائما للولايات الشرقية خصوصياتها وطابعها الخاص وهو ما يفسر لنا سرعة تطور إمبراطورية الشرق غداة وفاة الإمبراطور ثيودور "Theodore" سنة 395م وتقسيم الإمبراطورية الرومانية بين أركاديوس (الشرق) وهنوريوس (الغرب)، وهو التاريخ الذي اعتبر بداية الوجود الرسمي للإمبراطورية البيزنطية⁶.

ويعتبر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية كما يراه المؤرخين مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ولعل ما دفع هؤلاء إلى الأخذ بهذه الفكرة هو أن الحكام البيزنطيين كانوا يعتبرون أنفسهم أباطرة من الرومان (خلفاء الرومان)، ومن هنا نجد أن الإمبراطورية البيزنطية حاولت استعادة الأراضي التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية قبل سقوطها وهذا ما عرف بحركة الاسترداد التي ظهرت في عهد الإمبراطور البيزنطي جوستينيانوس "Justinien"⁷.

3- الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب (الحملة البيزنطية):

كان طموح الإمبراطور البيزنطي جوستينيانوس "justinien"⁸، الراغب في إنشاء إمبراطورية عالمية واسترداد أجماد الإمبراطورية الرومانية وراء الحملة البيزنطية على بلاد المغرب، وكما نجد أيضا جملة من الأسباب والعوامل التي عجلت ذلك، ويمكننا إيجازها في الصراع الديني الذي كان قائما آنذاك بين المذهبين، المسيحيين الكاثوليك والأيروسي، وما نجم عنه من تعرض كاثوليك إفريقيا لمتابعات وإضطهادات عديدة طيلة فترة حكم الوندال الأريوسيين (429-533م)، الذين نعتوا ب: "أعداء الروح والجسد" في قانون جوستينيانوس، فكان من الطبيعي أن يلجأ هؤلاء إلى إمبراطور الشرق لطلب النجدة .

ولقد هاجر إلى القسطنطينية في هذا الوقت عددا كبيرا من الأفارقة الذين كانوا ضحايا الإضطهادات الوندالية وعدد من الأساقفة الذي كانوا عرضة للتعذيب الوندالي والتف حول كل هؤلاء الأرثوذكس يتوسلون من الإمبراطور التدخل⁹.

وكان "جوستينيانوس" مسيحيا ، كاثوليكيا متحمسا، وعند علمه بما يلاقه أهل مذهبه في المغرب على يد الوندال الأريوسيين عزم على إنقاذهم وهي فرصة للاسترجاع أراضي بلاد المغرب من الوندال في نفس الوقت¹⁰.

كما أظهر هلدريك "Hilirie" تسامحا كبيرا تجاه الكاثوليك، قد تكون صداقته ب: جوستينيانوس وراء ذلك، وهو ما أثار استياء الوندال، كما كانت الهزائم العديدة التي منيت بها الجيوش الوندالية أمام الأهالي

خاصة في المزاق، وراء الاستياء الجيش الوندالي وإبعاد "هيلدريك" وتعين "جلمير" Geilimer "حاكما جديدا ، وهو ما تسبب في انقسام عميق في صفوف الوندال ، وساعد ذلك في تدخل البيزنطيين¹¹ .

ضف إلى ذلك الثورات المحلية لقبائل المور التي لم تكن أقل إحراجا للسلطة الوندالية إذ لم تتأخر القبائل المحلية في العمل على التخلص من سلطة "جنسريق" ، حيث أعلن عن إستقلال الأوراس من "هونوريق" Huniric " (477-484م) دون أن يتمكن الوندال من إخضاعهم ثانية ، بعد الأوراس يأتي دور منطقة الحضنة والزيان فكانت هذه الثورات التي لم تجد رادعا لها ووصول الأهالي إلى السهول ، واجتياز خطوط الحصون الرومانية ، التي كانت تحول سابقا دون الوصول إلى الهضاب العليا النوميديية ، وكما كانت ثورة طرابلس في عهد تراساموندوس "Trassammund" (496-522م) بقيادة قابلون Gabaon ، وفي عهد هلدريك تمكنت قبائل المزاق من إلحاق الهزيمة بجيوش الوندال أكثر من مرة ، فكانت كل هذه الثورات وراء إرهاب إمكانيات الوندال ، وإضعاف جيوشهم والحد من نفوذهم الذي بدأ ينحصر شيئا فشيئا¹² .

إضافة إلى كل هذه العوامل، تجبر جلمير، وقصر نظره زيادة على انحياز قوط ايطاليا "Ostrogoths" إلى جانب الإمبراطور البيزنطي جوستينيانوس، خاصة بعد اغتيال أمالا فريدا "Amalafriada" زوجة "تراساموندوس" القوطية.¹³

وكان وزراء جوستينيانوس يوقنون بأن البربر بعد أن نشأت ممالكهم ، واسترجعوا قوتهم لا يمكن أن يخضعوا لهم ، وأن الخسائر في احتلال ما يستطيعون احتلاله من المغرب أضعاف الربح، ولكن الغيرة على الأرثوذكس وحب الانتقام من الوندال واستفزاز الأساقفة الأرثوذكس، وتحريضهم على الانتقام من الوندال الأريوسيين وتخليص أتباع مذهبهم في المغرب جعل جوستينيانوس يصر على غزو المغرب رغم ما كان ينتظره من خسائر مادية وبشرية¹⁴ .

وجاءت الفرصة المنتظرة حيث وقعت حرب داخلية بين الوندال في "سردينيا" واصطحب القائد البيزنطي "بليزار" معه في هذه الحملة زوجته فكان لا يخالف لها أمرا كما اصطحب رئيس أركان حربه "صولومون" Solomon الذي كان له دورا رئيسيا سواء في محاربه للبربر أو في تنظيم افريقية ورافقه كذلك كاتبه ومؤرخه بروكوب¹⁵ ، الذي يرجع له الفضل في وصف الحملة البيزنطية على بلاد المغرب¹⁶ .

نزل الأسطول البيزنطي بسواحل إفريقيا في أوائل سبتمبر من سنة 533م وكان القائد البيزنطي "بليزار"¹⁷ شديد الحذر دائما فأبى السماح لقادته بدخول قرطاجة، وأذن لجيوشه في رأس كابودية "Ras Kabaudia" على بعد حوالي مائة كلم ، من جنوب سوسة ب: (تونس) التي توجه إليها، وكان يتقدم جيشه فيلق من الخيالة ،على يساره جند قوم الهان "Huns" ويواكبه على اليمين الأسطول البحري ، وظل يسلك بليزار الطريق الساحلي ، حيث كان يقطع كل يوم مرحلة صغيرة خشية الكمائن، ودخل الجيش البيزنطي سوسة بعد أن اجتاز بدون صعوبة رأس ديماس و لمطة ومنها وصل إلى سيدي خليفة¹⁸ وعندما وصل إلى جلمير خبر نزول البيزنطيين بإفريقية أسرع بالكتابة إلى شقيقه أما تاس Ammatas في قرطاجة يأمره بقتل هليدريك والمقربين منه وتجنيد الوندال والاستعداد الانتقال إلى سيد فتح الله وهو المكان الذي اختاره جلمير لمعركة كبرى كانت ستعرقل الزحف البيزنطي لولا الخطأ الذي ارتكبه أما تاس والذي كان سببا في اندحار الوندال في هذه المعركة ، وزوال دولتهم من الوجود في ما بعد ، حيث كانت خطة المعركة تقتضي بأن يخرج أما تاس من قرطاجة ويتقدم لوقف البيزنطيين عند مضيق سيدي فتح الله على بعد خمسة عشرة كلم من قرطاجة ، بينما يهاجم جيباموند Jibamund ابن عم جلمير ميسرة الجيش البيزنطي على رأس ألفي مقاتل، في الوقت الذي يهاجمهم جلمير من الخلف، كانت هذه الخطة مدبرة بشكل جيد ، وكان بالإمكان أن تكون لها نتائج وخيمة على الجيوش البيزنطية لو تم تنفيذها بشكل جيد¹⁹ .

لكن وصول "أماتاس" قبل وصول باقي القوات الوندالية ودخوله المعركة قبلهم مكن يوحنا الأرميني من التقدم نحو قرطاجة بعد إبادة قوات "أماتاس" الذي قتل في المعركة، تقدم جيباموند لمهاجمة مسيرة القوات البيزنطية لكنه اضطر إلى التراجع قرب سبخة السيجومي بعد أن ترك العديد من القتلى في الميدان، أما جلمير فقد فوت على نفسه الفرصة رغم الانتصار الجزئي الذي حققه على البيزنطيين نتيجة انشغاله بجزارة شقيقه فتمكن على إثره بليزار من جمع قواته ومباغتته وبالتالي حققت الجيوش البيزنطية انتصارا كبيرا تمكن على اثر ذلك بليزار من دخول قرطاجة بسهولة في اليوم الموالي: 14 سبتمبر 533م.²⁰

عمل جلمير الذي فر إلى "يولاريجيا" حمام الدراجي" بعد شقيقه تازازون "Tazazon" من سردينيا على استرجاع ما فاتته، فتقدم نحو قرطاجة التي حاول إخضاعها بقطع الماء عنها، كما حاول إقحام بليزار في المعركة دون جدوى، وفي 15 ديسمبر من سنة 533م ، هاجمه هذا الأخير وهزمه في معركة "تريكاماروم" Tricamarum التي لو هاجم فيها جلمير البيزنطي ساعة اقتسام الغنائم لا انتصر في

المعركة. لكن تأثره بالصدمة الأولى وفراره نحو جبل "Paprua" فوّت عليه الفرصة مرة ثانية حيث ضيق عليه فاراس "Pharas" الخناق حتى استسلم في شهر مارس من سنة 534م. بعد استسلام جلمير أرسل بليزار بعض قواده لاسترجاع قيصرية وسبته وبعض جزر البحر المتوسط²¹.

4- مقاومة المور ضد حملة جوهانوس روقاتينوس سنة 563م:

كان سبب هذه الحملة ثورة القبائل المورية القاطنة شمال جبال الأوراس بجنوب مقاطعة نوميديا ضد البيزنطيين بسبب إقدام جوهانوس روقاتينوس "Johannus Rogatinus" حاكم شمال إفريقيا في مطلع سنة 563م على اغتيال كوتزيناس ملك قبيلة مستراكياني الذي يعتبر أخلص حليف للبيزنطيين ، عندما جاء الى قرطاج ليطالب بالمنحة التي اعتاد تسلمها في عهدي صولومون وتروقليتا مقابل تحالفه مع البيزنطيين ، هذه المنحة كانت تشكل عبئا ماليا ثقيلا على الخزينة البيزنطية التي أصبحت تعاني عجز مالي خلال هذه الفترة ، علاوة على ذلك فترة الهدوء التي سادت المقاطعات البيزنطية ببلاد المغرب جعلت البيزنطيين يعتقدون أنهم لم يعودوا بحاجة إلى التحالف مع كوتزيناس "Cutzinas" ، فأمر الحاكم البيزنطي بقتله²².

ثارت ضد البيزنطيين قبيلة ميتركياني "Mastraciani" بقيادة أبناء كوتزيناس ولقد تمكن الثوار من السيطرة على الوضع واكتسحت غاراتهم المناطق الزراعية بنوميديا التي تعرضت للنهب والتخريب ، ولم يتمكن روقاتينوس من القضاء على الثورة بسبب قلة عدد قواته نظرا لإرسال جزء كبير منها إلى المقاطعات الأخرى²³ ، وأمام هذا الوضع اتصل روقاتينوس بالإمبراطور جوستينيانوس طالبا المساعدة فأرسل إليه قوات إضافية بقيادة ابن أخيه ماركيانوس "Marciainus" ولكن المور عاثوا قبل ذلك فسادا في البلاد²⁴.

رغم فشل ثورة أبناء كوتزيناس التي أخمدها ماركيانوس، إلا أنه ترتب عنها أزمة اقتصادية شديدة، حيث انخفض الإنتاج الزراعي بسبب انعدام الأمن وتعرضت أملاكهم باستمرار لهجمات المور ، ولكن قدوم الإمبراطور " جوستينوس الثاني " الذي خلف جوستينيانوس بعد وفاته خفف من الوضع، حيث عين توماس Thomas واليا على إفريقيا وتمكن هذا الأخير من ضمان بعض الاستقرار بفضل المفاوضات التي قام بها مع زعماء القبائل المورية²⁵ ، حيث يبدو أنه أظهر دبلوماسية فائقة في علاقاته مع هذه القبائل

والحق أن توماس ساعد على انتشار الدعاية المسيحية ، ودعم جهاز الدفاع البيزنطي بإقامة حصون جديدة ، ولكنه فيما بعد لم يتمكن من وضع حد للفساد الإداري ودفع أجور الجنود ، وإخماد الثورات التي ظهرت في هذه الفترة، فاستغل هذه الأوضاع الملك الموري غاسمول "Gasmol" ملك قبيلة مكوريتاي (بموريطانيا القيصرية)²⁶.

5- مقاومة المور ضد حملات جنادايوس "578-595م"

أ- المقاومة ضد حملة جنادايوس الأولى سنة 578م :

يعود سبب توجيه هذه الحملة إلى محاولة القضاء على ثورة الملك الموري غاسمول ملك قبيلة مكوريتاي بموريطانيا القيصرية ، الذي استغل صعوبات البيزنطيين العسكرية فثار ضدهم وزاد خطر هذا الملك عندما تمكن من القضاء على ثلاث من كبار الموظفين البيزنطيين على التوالي وهم ثيودور "theodore" سنة 561م واثنين من قادة الجيش البيزنطي سنة 570م وأمبيليس "Amabilis" سنة 571م، فجمع جنادايوس القائد الأعلى للجيش البيزنطي ما تيسر له من قوات وتوجه بها نحو موريطانيا القيصرية في نهاية سنة 578م²⁷.

لقي جنادايوس صعوبة في القضاء على مقاومة غاسمول ، حيث شمل نطاق المقاومة موريطانيا القيصرية، وربما امتدت إلى موريطانيا الطنجية بدليل أن سكان هذه المنطقة هاجروا بأعداد كبيرة نحو إسبانيا والجزر القريبة منها فرارا من خطر المور ومن عنف المعارك بين الثوار والبيزنطيين ، ونظرا لصلابة الثورة وقوتها عجز البيزنطيون عن إخمادها ، قام الإمبراطور البيزنطي جوستينوس الثاني بتعين تيريوس الثاني شريكا له في الحكم ، وتولى هذا الأخير الحكم إثر وفاة جوستينوس الثاني ووجه اهتمامه للقضاء على ثورة غاسمول ، حيث عين توماس "Thomas" حكما لشمال إفريقيا وأبقى جينادايوس قائدا أعلى للجيش البيزنطي وكلفه باستئناف الحملة التي توقفت بسبب نقص عدد الجنود بعد أن أمده بقوات إضافية²⁸.

أدت إلى فشل المور في مقاومة هجوم الجيش البيزنطي بقيادة "جينادايوس" بموريطانيا القيصرية وتم القضاء على ثورتهم وقتل الملك الموري غاسمول حوالي سنة 578م، فقرر البيزنطيون مواصلة سياستهم الدفاعية الهادفة إلى ترميم وتحصين المنشآت الموجودة ، أو بناء حصون وقلاع جديدة لصد غارات المور ، حيث تم ترميم حصن تيرنوك الواقع شمال شرق إفريقيا البر وقنصلية بين سنتي 578-582م وأعاد بناء وتحصين قلعة خنشلة بين سنتي 578-580م ، التي اتخذها البيزنطيون قاعدة لعملياتهم العسكرية بجبال الأوراس²⁹.

وبالإضافة إلى هذه المنشآت ذات الطابع الرسمي التي أشرفت السلطة البيزنطية على بنائها وتحسينها برزت ظاهرة الدفاع الذاتي لدى السكان والمتمثلة في بناء الحصون والملاجئ ، والتي أغلبها كانت بجوار القلاع والمدن المحصنة وضواحي القوي للجوء إليها وقت الضرورة ، ومن بينها نذكر عين القصر التي بناها السكان حوالي سنة 580م³⁰.

ب- مقاومة المور ضد حملة جناديوس الثانية "587-589":

لم تتحسن الأوضاع الأمنية بشمال إفريقيا رغم الإصلاحات الإدارية وإعادة تقسيم المقاطعات البيزنطية الذي قام بها الإمبراطور موركيوس "Muricuis" (582-602م) بحيث تخلى نهايا البيزنطيون عن مناطق عديدة كانت تحت سيطرتهم كالمدين الساحلية بموريطانيا القيصرية وقسم كبير من موريطانيا السطيفية وأسندت السلطات المدنية والعسكرية لشخص واحد من أجل ضمان وحدة القيادة لمواجهة الثورات المورية، إذا اضطر جناديوس إلى توجيه حملة ثانية ضد المور الذين أعلنوا الثورة على البيزنطيين مند سنة 587م بسبب تعسف كبار موظفيهم وجيشهم والضرائب الثقيلة المفروضة على القبائل الخاضعة لسلطتهم ، ضف إلى ذلك سماح الموظفين لهذه القبائل الوثنية بممارسة طقوسها، مما ترك لديها انطبعا بضعف البيزنطيين وشجعها على القيام بالثورة، وما أن أتم جناديوس "Gennduis" استعداداته حتى خرج في حملة ضد الثوار المور³¹.

ولم تتحدث النصوص عن هوية القبائل المورية النائرة هذه المرة وموطنها، إذ كل ما ورد عنها بهذا الشأن أن جناديوس واجه ثورة شاملة شارك فيها جميع سكان المقاطعات البيزنطية بشمال إفريقيا نتيجة إنخرام الأمن وذلك ما لاحظناه من خلال اضطراب السكان إلى تشييد الحصون بأنفسهم للتصدي للحملات³².

ولقد استغرقت هذه الثورة سنتين، واستطاع القائد البيزنطي جناديوس في الأخير بفضل تحصين المنشآت الدفاعية من القضاء عليها ، واضطر الإمبراطور موركيوس إثر ذلك إلى الاهتمام بترميم الجهاز الدفاعي البيزنطي ، بحيث أنشأ منطقة القنطرة التي تقع على الطريق الرابط بين تازولت وبسكرة قلعة تسد هذا الطريق الطبيعي أمام غزوات القبائل المورية القادمة من الجنوب، كما أشرف جناديوس على بناء قلعة

برج القصر غرب سيرتا (قسنطينة)، وقام السكان ببناء ملاجئ لحماية أنفسهم بسبب تدهور الوضع الأمني وعدم قدرة السلطات الرسمية على حمايتهم وتوفير الأمن لهم³³.

-ج- مقاومة المور ضد حملة جناديوس الثالثة "591-595م":

أعد جناديوس هذه الحلة ضد المور الذين ثاروا ضد السلطة البيزنطية سنة 591م، ذلك أنهم كانوا يتربصون الفرصة لإعلان الثورة ضدها فاستغلوا نقص القوات الموجودة بالمقاطعات البيزنطية بشمال إفريقيا نتيجة إرسالها إلى الحدود الشرقية لمواجهة غزوات الصقالبة والأفار، فاكسحوا مناطق الاحتلال البيزنطي لاسيما بإفريقيا البر وقنصلية طيلة أربعة سنوات، فامتدت غاراتهم حتى مشارف قرطاجة ولما كان عدد القوات البيزنطية غير كاف لمواجهة الثوار فضل جناديوس البقاء بقرطاجة منتظرا الفرصة المناسبة للقيام بالحملة³⁴.

ثارت معظم القبائل المورية ضد السلطة البيزنطية وتمكن الثوار من محاصرة المدينة وقطعوا عنها الإمدادات العسكرية فلجأ جناديوس إلى الحيل السياسية للقضاء على الثورة³⁵، بعد أن رأى أن مقاومتها أمر مستحيل، فدعاهم إلى قرطاجة لعقد معاهدة سلم فظن المور أنهم سيطروا فعلا على المدينة فراحوا يحتفلون بانتصاراتهم فاستغل جناديوس ذلك فهاجمهم وقتل معظمهم³⁶.

وهكذا قضى جناديوس على المقاومة المورية في نهاية سنة 395م، فساد من جديد الهدوء و الأمن المقاطعات البيزنطية بشمال إفريقيا، لكن ورغم ذلك إلا أن القائد جناديوس طلب بقوات عسكرية إضافية تحسبا لأي طارئ³⁷.

خاتمة:

تبين من خلال ما سبق أن المماليك المورية سيطرت على الجزء الأكبر من شمال إفريقيا و فرضت نفسها ضد البيزنطيين بعدما سيطرو على مناطق شاسعة لم يتمكنوا من استردادها رغم المحاولات العديدة، ورغم اختلاف وتضارب آراء المؤرخين حولها فقد أثبتت هذه المماليك وجودها من خلال مشاركتها و تأثيرها في الأحداث السياسية و العسكرية التي عرفتها المنطقة.

تمكنت الإمبراطورية البيزنطية من بسط نفوذها على المناطق التي سيطرت عليها لمدة طويلة من الزمن وذلك راجع إلى العامل الاقتصادي القائم على استنزاف خيرات بلاد المغرب القديم و كثرة الضرائب.

النواة الأولى للمقاومة المورية برزت مع نهاية الاحتلال الوندالي ، بحيث ألحق بهم السكان أمثال كاباوون وأنتالاص، وقبائل الأوراس هزائم عديدة كما أن ثورات ممالك المور لم تقتصر فقط على المناطق التي خرجت عن السيطرة العسكرية البيزنطية كموريتانيا القيصرية بل ظهرت أيضا ثورات داخل المقاطعات الأخرى.

كانت مقاومة السكان للبيزنطيين قوية لدرجة أنهم عجزوا عن إخمادها، وأجبروا على التخلي عن مشاريعهم التوسعية بشمال إفريقيا، واتحاد مواقف دفاعية أمام ضربات السكان أدى ذلك بالقيادة البيزنطيين إلى إبرام تحالفات مع بعض القبائل قبل الدخول في مواجهة مع قبائل أخرى.

نجاح مقاومة المور تكمن في عجز البيزنطيين عن استعادة الممتلكات الرومانية بشمال إفريقيا ، فقد فشلوا في توسيع مناطق احتلالهم لموريطانيا القيصرية و الطنجية نظرا للمقاومة الشديدة للسكان الذين رفضوا التخلي عن المناطق التي استرجعوها من الرومان و الوندال، وحتى بعد أن وسّع البيزنطيون حدود ممتلكاتهم بعض الشيء بنوميديا وموريطانيا السطيفية فإن ذلك لم يستمر إلا مدة زمنية قصيرة إذ أخذ الليمس البيزنطي في التراجع أمام مقاومة السكان العسكرية و فقد البيزنطيون معظم ما كان بحوزتهم بموريطانيا السطيفية و جنوب نوميديا و المراكز الساحلية بموريطانيا القيصرية .

تجدر الإشارة أنه لم يكن بإمكان الاحتلال البيزنطي تحقيق أهدافه التوسعية لولا سياسة استمالة العنصر المحلي ضد العنصر المحلي و إنتهاز فرصة صراع القبائل المورية فيما بينها، والتحالف مع أكبر القبائل المورية.

الهوامش:

- 1 مبارك بن مُجَّد الميلبي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ج1، 2004، ص.360.
- 2 مُجَّد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم "السياسي والحضاري"، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر 1992 ، ص263.
- 3 محمود سعيد عمران ، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2002، ص.13.
- 4 مُجَّد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.263.
- 5 نفسه.
- 6 محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص.09.
- 7 مبارك بن مُجَّد الميلبي، المرجع السابق، ص.361.
- 8 جوستينيانوس: إمبراطور بيزنطي رقي العرش سنة 527، وساعدته زوجته ثيودورا، لقب بالإمبراطور الذي لا ينام نظرا لشجاعته وثقته بنفسه. أنظر: وهيب أبي الفاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ط1، يوبليس، ج2، 2003، ص 565.
- 9 حمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.264.
- 10 مُجَّد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا ، ج1 1964، ص.441.
- 11 مُجَّد الهادي حارش، المرجع السابق ، ص 265 .
- 12 المرجع نفسه، ص 266
- 13 حمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.267.
- 14 مُجَّد علي دبوز، المرجع السابق، ص.440.
- 15 بروكوبيوس "Procopius": مؤرخ بيزنطي ولد في قيصرية بفلسطين حوالي نهاية القرن الخامس بعد الميلاد، عين أمين سر خاصا للقائد بليزار عام527م، وصاحبه في حملاته على فارس وإيطاليا وكان ضمن الحملة على بلاد المغرب، ويعود له الفضل في وصفها. أنظر: علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط1، منشورات دار مكتبة طرابلس، ليبيا، 1967، ص 209 .
- 16 مُجَّد علي دبوز، نفس المرجع، ص 441 .
- 17 بليزار: قائد بيزنطي، خدم جوستينيانوس وزوجته ثيودورا، قمع ثورة الأحزاب في القسطنطينية سنة532م المعروفة بثورة نيكا، أعاد فرض سيادة بيزنطة على افريقية وصقلية وإيطاليا أنظر: المنجد في الإعلام ، ط16، دار المشرق ، لغة عربية ، بيروت ، لبنان ، 1988، ج1 ص212.
- 18 شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص258.
- 19 حمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.268.

- 20 أحمد صفر، إفريقيا الشمالية في عهد البيزنطيين، دار النشر بوسلامة، تونس، 1989 ص. 394
- 21 محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. 271
- 22 شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص. 372..
- 23 Diehl (CH), op.cit, p.456
- 24 جوليان ، نفس المرجع، ص. 372..
- 25 محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص. 276.
- 26 شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص ص. 376.-377.
- 27 Le Beau, op.cit, p.118
- 28 Diehl (CH), op.cit, p.463.
- 29 شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 377.
- 30 Diehl (CH),op.cit,pp.469-470.
- 31 Diehl (CH),op.cit,pp.477-478
- 32 شارل أندري جوليان، المرجع السابق ، ص. 377.
- 33 Diehl(CH),op.cit,pp.479-480.
- 34 Diehl (CH), op.cit, pp.480-481.
- 35 شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 378.
- 36 Diehl (CH), op, cit, pp.481-482
- 37 Ibid, pp.538-540.